المحاضرة 2: تاريخ الوقائع الإقتصادية في ظل النظام المشاعي(البدائي)

أولا: مفهوم المشاعية البدائية

يعد النظام المشاعي(البدائي) أول نظام اقتصادي اجتماعي في التاريخ استمر لفترة طويلة حوالي 19 ألف سنة، وكانت وسائل الإنتاج التي استخدمها الإنسان بسيطة وبدائية كالعصا أو الحجر، كما كانت مهارات العمل وخبرة الأفراد ومعرفتهم قليلة جداً، لذلك لم يكن في مقدور الأفراد مواجهة الطبيعة إلا بتجميع جهودهم وتضافرها، وقد عاش الأفراد في مشاعات قبلية متوحدين على أساس قرابة الدم، وكانت المحاصيل القليلة التي لا تكاد تفي بحاجة الإنسان توزع بين أفراد المشاعة توزيعاً متساوياً، فكانت وسيلة الإنتاج الرئيسة هي الأرض، وكان نمط الإنتاج تعاونياً وجماعياً.

ثانيا: مراحل تطور النظام البدائي: انقسم الى 3 مراحل:

1/ المرحلة الوحشية: تبعا لفنون الإنتاج المستخدمة تنقسم الى 3 اطوار:

-الطور الأول اعتمد فيه الانسان على جمع والتقاط الثمار بواسطة العصي والحجارة ولم يميزهم عن القطعان الحيوانية سوى تصرفاتهم الإنسانية.

-الطور الثاني وتميز بإحتراف صيد السمك وبإستخدام النار المتولدة عن الإحتكاك.

- الطور الثالث إتسم بالتوسع النسبي في الصيد وفي صنع القوس والسهم في الصيد وخاصة بعد إكتشاف النار ومعرفة أهميتها.

2/ المرحلة البربرية: لقد تطور الفن الإنتاجي في هذه المرحلة نسبيا حيث لجأ الإنسان لتربية الماشية وزراعة النباتات ثم تربية الحيوانات المنزلية وري الزراعة ثم إستخدام الآجر والحجارة في البناء وإتسمت نهاية هذه المرحلة بإستخدام المحراث والتوسع في الزراعة.

3/ مرحلة التمهيد الحضاري: وتعتبر هذه المرحلة هي الحد الفاصل بين النظام البدائي والنظام المدني أي نظام الرق.

ثالثا: عناصر النظام البدائي:

1- القوى المنتجة: وتشمل:

أ-أدوات الإنتاج: تتمثل أدوات الإنتاج في الحصى والحجارة وتميزت بالبدائية والبساطة وظلت لمدة طويلة حتى سميت تلك الفترة الزمنية "بالعصر الحجري" ومع التطور اكتشف الإنسان

المعادن واستطاع تشكيلها في صنع الأدوات المعدنية مما انعكست نتيجته في الزراعة وذلك بإستخدام المحراث، وبحرث مساحات واسعة توصل الإنسان إلى طريقة ري تلك المساحات.

ب-فنون الإنتاج: كان لتقدم أدوات الإنتاج تأثيره على مبدأ تقسيم العمل حيث كان في بادئ الأمر قائما على أساس الجنس، الرجل في شؤون الصيد والحرب والمرأة في شؤون البيت والأسرة وبظهور مبدأ تقسيم العمل، زادت إنتاجية العمل ثم ظهر التقسيم الإجتماعي الأول للعمل حيث تخصصت بعض القبائل في الزراعة والآخر في تربية الماشية ثم بمرور الزمن وإزدهار صناعة المعادن تخصصت بعض القبائل الأخرى في صناعة أدوات الإنتاج كالمحراث وغيرها.

2-علاقات الانتاج في المجتمع البدائي:

بما أن الفرد لا يقوم بمفرده بعملية الإنتاج لأنها تنشأ في صورة علاقات بين الأفراد فهنا يجدر بنا حصر علاقات الإنتاج في القانون الاقتصادي الأساسي لنظام إنتاج المشاعية البدائية وهو (ضمان وسائل المعيشة الضرورية للإنسان بالإعتماد على أدوات إنتاج بدائية وعلى أساس مشاعية تملك وسائل الإنتاج العمل الجماعي وطريقة التوزيع المتساوي للمنتجات) ومن هذا القانون يمكن استنتاج ما يلي:

أ – السمة الأولى تتميز علاقات الإنتاج في المجتمع البدائي بالعمل الجماعي الذي يأخذ شكل التعاون البسيط، حيث يقوم كل أفراد العشيرة بالعمل بطريقة جماعية دون أن يكون هناك تخصص أو تقسيم عمل.

ب -السمة الثانية هو الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالسمة الأولى (العمل الجماعي) والتعاون البسيط (اذ كانت الأرض وجميع الموجودات) أي أدوات العمل ملكا للجميع.

ج – ثمار العمل من المواد الاستهلاكية (كانت مشتركة) للأسباب السابقة.

د – طريقة التوزيع هي المساواة للأسباب السابقة أيضا.

رابعا: التنظيم الإجتماعي والتقسيم الطبقي في المشاعية البدائية:

1-التنظيم الاجتماعي – نظام العشيرة– :كانت العشيرة تمثل الوحدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يقوم عليها المجتمع البدائي ويذكر أن المرأة احتلت مكانة مرموقة ولعبت دورا هاما في المرحلة الأولى للنظام العشيري وذلك بسبب شروط الحياة المادية نفسها.

وقد تعاظم دور المرأة إلى أن أصبح النسل ينسب إليها حيث سميت هذه المرحلة **بنظام العشيرة الأمومية** إلا أن تطور القوى المنتجة وظهور التدجين المتطور والمراعي والزراعة المتطورة (والتي

كانت من اختصاص الرجل) أدى إلى انقلاب الموازين وانتقلت السيادة من المرأة إلى الرجل وأصبح النسل ينسب إليه **وحل نظام العشيرة الأبوية** محل العشيرة الأمومية.

2-التقسيم الاجتماعي للعمل:

ارتبط التقسيم الاجتماعي للعمل مع ظهور كل من الزراعة والرعي، حيث حصل تخصص في العمل(تقسيم للعمل) على أساس المشاعيات، وكان أول تقسيم اجتماعي كبير للعمل هو تقسيم العمل على أساس المشاعيات والذي يتألف من قبائل الرعاة وقبائل الزراعة وهو ما زاد في إنتاجية العمل لحد كبير.

3-ظهور الملكية الخاصة والطبقات:

ويمكن القول عند التكلم عن الملكية الخاصة والطبقات أننا بصدد التكلم عن مرحلة جد متقدمة من النظام المشاعي(تكاد تكون بمثابة مرحلة انتقالية بين النظام المشاعي ونظام الرق)، فبعد التطور الحاصل على مستوى أدوات العمل أصبح العمل أكثر إنتاجية وهو الأمر الذي لم يعد يستدعي العمل بطريقة جماعية على مستوى العشيرة، فإرتفاع الإنتاجية سمح بالإنتاج في الزراعة والرعي والحرف على نطاق اجتماعي أضيق من العشيرة وهو الأسرة التي أصبحت الوحدة الاقتصادية والاجتماعية الجديدة في المجتمع، وبهذا أفسح العمل الخاص على نطاق الأسرة المجال تدريجيا للحلول محل العمل الجماعي المشترك وهو ما أدى إلى ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج.

خامسا: انهيار النظام المشاعي: هناك عدة عوامل أدت إلى زوال النظام المشاعي نذكر منها:

- تقدم الفن الإنتاجي وخاصة بعد اكتشاف المعادن وتطور أدوات الإنتاج.
- التقسيم الاجتماعي المتوالي للعمل.
- نهاية التوزيع المتساوي وظهور الطبقات.
- ظهور فئة جديدة لا تمارس الأعمال المتعارف عليها كالزراعة وتربية الماشية والحرف حيث تخصصت في المبادلات وهي فئة التجار.
- الحروب بين العشائر والقبائل، حيث تواجد أسرى الحرب الذين كانوا يكلفون بالعمل الإنتاجي وخاصة أن قيمة العمل البشري كانت في حاجة ضرورية لزيادة الإنتاج.

كل تلك العوامل أدت إلى تدهور النظام البدائي(المشاعي) وظهور نظام الرق(العبودي).